في الخطاب اليومي والعادات الكلامية التداولية

ذكرى بنت يحيى القبيلي

أستاذ اللسانيات، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، السعودية.

(قدم للنشر في ٢٦ / ٧ / ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١٣ / ٨ / ١٤٤٦هـ)

<https://doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-9>

الكلمات المفتاحية: اللسانيات الاجتماعية، التعدد اللغوي، الازدواج، التحول اللغوي، المزج اللغوي، الهجين، العادات الكلامية.
ملخص البحث: الخطاب اليومي سجل حياة، ينبغي أن يولى عناية في الدراسة والوصف المحايد لأحواله وعادات الكلام، فاللغة وجوهنا وتاريخنا، وكاشفة عن الواقع وسامات المتحدثين والخلفيات الاجتماعية والثقافية والإيدلوجية، وهذه الورقة العلمية تقف على نواح عدة في الخطاب اليومي، تتمثل في: مستويات الواقع اللغوي العربي، وملامح في الكلام العادي، وعادات المتكلمين، ومبادئ أساسية في الحدث التواصلية ومظاهره وتمثلاته، وتناقش إشكالات ومزالق في ممارسة الكلام اليومي كالهجين. تأتي الورقة ضمن اللسانيات الاجتماعية، وقد اعتمدت الوصف والتحليل في سعيها للإجابة عن الأسئلة البحثية المطروحة، فانظمت في قسمين الأول: واقع الخطاب اليومي وعاداته ومتغيراته، والثاني: مبادئ العادات الكلامية وظواهرها.

Daily speech and conversational speech habits

Dhikra Yahya Al-Qubaili

Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia.

(Received: 26/ 7/1446 H, Accepted for publication 13/ 8/1446 H)

<https://doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-9>

Keywords: Sociolinguistics, Multi Linguisme, Diglossia, Code-switching, Code-mixing, Speech habits.

Abstract. Daily discourse is a life scroll, and should be given attention in the studies, the impartial description of its conditions, and the habits of speech. Language is our present and history, revealing the reality and features of speakers, social, cultural and ideological backgrounds. This scientific paper is based on several aspects of daily discourse: levels of Arab linguistic reality, features in ordinary speech, speakers' habits and basic principles in the communication event and its manifestations and representations. It also discusses problems and pitfalls in the practice of daily speech. The paper adopted the analytical descriptive curriculum in its quest to answer the research questions raised, organized in two sections: the realities and variations of daily discourse, also the principles and phenomena of speech habits.

المقدمة:

الحمد لله خلق الإنسان علّمه الأسماء، والصلاة والسلام على المرسل بلسان عربي مبين. يعد هذا البحث محاولة في التجسير بين مفاهيم الدرس اللساني وأداء المتكلم العادي وممارساته اليومية، ويسعى إلى وصف الواقع اللغوي بموضوعية، وإلى الكشف عن عادات كلامية في الوعي واللاوعي. وقد وسمناه بـ(في الخطاب اليومي والعادات الكلامية).

شرعنا فيه بوصف لغة الواقع اليومي وما تنسم به من تنوع وتحول؛ من الكلمة إلى خطاب متعدد الوسائط بات يشكل خطاب اليوم، ثم قدّم حزمة من المبادئ في الممارسة اللغوية وعادات المتكلمين وعرض لظواهر في أدائهم اليومي، وناقش إشكالية ظاهرة إشكالية المهجين، وهي ممارسة غير منصفة من الأبناء لا تستحقها اللغة الأم.

أما أهمية تسليط الضوء على الممارسة اللغوية وعاداتها، فإن فهم المتكلم أسرار اللغة وجوانب اشتغالها يساعده في حسن توظيفها ويسهم في جودة الأداء اللغوي والتواصل الناجح، وتفسير المواقف التواصلية. فاللغة ليست كلمات وجمالاً مبتورة، بل هي حياة وإنجاز. والاهتمام بالممارسة اللغوية في كليتها هو عناية بالحياة وجودتها.

ويعتمد البحث الوصف والتحليل في الإجابة عن سؤال

(ما):

- ما الواقع اللغوي اليوم ومستويات التواصل؟
- ما أبرز المتغيرات والإشكالات؟
- ما المبادئ التي ينطلق منها المتكلمون؟
- ما المظاهر التي تلون عاداتهم الكلامية؟

وقد جاء البحث في قسمين: الأول عن الواقع اللغوي وتنوعه، والثاني في العادات الكلامية، وانتظم الإطاران أو القسمان في محاور، تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة وتوصيات، على النحو الآتي:

القسم الأول: واقع الخطاب اليومي ومتغيراته، ضمّ

المحاور الآتية:

- اللسانيات الاجتماعية.
- التعدد والتنوع اللغوي.
- الواقع اللغوي اليوم ولغة الحدث التواصلية، وأجملناها في خمسة مستويات.

القسم الثاني: مبادئ في العادات الكلامية وظواهرها،

ضمّ المحاور الآتية:

- مبادئ عامة في العادات الكلامية.
- ظواهر في الحفاظ على نجاح التواصل. تناولنا فيه:
- الافتراضات السابقة والقواسم المشتركة وعمليات: المسلمة والإضافة، والاختصار، والحذف.
- الاستلزامات التخاطبية والأساليب غير المباشرة.
- الحفاظ على سيرورة التواصل.

ثم ختمنا البحث بأبرز النقاط والنتائج التي جاءت مبثوثة في صفحاته، وقدمنا مجموعة من التوصيات العلمية المرجوة.

وأخيراً، فإن الخطاب اليومي مشروع واسع، ويتمظهر في مجالات عديدة تتقارب وتتباین، وهو، لا شك، يستحق المقاربة والمعاودة؛ ودراسته ذو أهمية بالغة، وثمار يانعة، تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والمؤسسات العامة والحكومات. ونسأل الله التوفيق والسداد.

القسم الأول: الخطاب اليومي، الواقع ومتغيراته.

١-١ توطئة

لكل مجموعة بشرية لسان يجمعها ويميزها عن غيرها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (القرآن الكريم. الروم: ٢٢). تؤدى الممارسة اللغوية وفق نظام مشترك في أذهان أصحابه، ينطلقون منه يتمثل في لغة محددة أو لسان معين، العربي، مثلاً: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (القرآن الكريم. الشعراء: ١٩٥). وهذا اللسان المعين عادة ما يتمثل في عدّة لهجات متنوعة، وهي التي كان يسميها العرب لغات، فيقولون: لغة قريش ولغة هذيل وقيس وأسد وتميم وغيرها. وقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش ولغات القبائل الأخرى. وكذلك الحديث الشريف، وقد أجاب رسولنا الكريم بلغة السائل، كما روى الإمام أحمد في المسند^(١)، فقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ السَّقِيفَةِ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "لَيْسَ مِنْ أَمْرِ امْصِيَامٍ فِي امْسَفَرٍ"^(٢). يريد: ليس من البر الصيام في السفر، وذلك في إجابته عن سؤال: هل من امر امصيام في امسفر؟ وهي صورة في اللهجات العربية تُعرف بالطمطنانية في لغة حمير، يبدلون لام التعريف ميماً، لا تزال مستعملة حتى اليوم في بعض مناطق في اليمن.

إذن يحدد المتكلم شفرة تواصله بما يتوافق مع البيئة اللغوية والمقام التواصل، ويختار اللغة الرسمية أو اللهجة المحلية أو بهما وهو الحاصل اليوم في كثير من الأحياء والأحيان. فهناك التعددية اللغوية والازدواجية والتحويل

اللغوي والمزج اللغوي وغير ذلك مما يعنى بدراسته علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية، ويبحثنا يقع ضمنها. وسنعرف بها وموضوعاتها في عجلة.

١-٢ اللسانيات الاجتماعية (sociolinguistic).

هي فرع من اللسانيات التي تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع كما نص ريتشارد هدسون Richard^(٣) Hidson، وفي تصوري أن اللغة أهم مكون ثقافي اجتماعي له أثره وسطوته وحضوره الممتد في الحياة الاجتماعية وكل مظاهرها، وعبر دراستها يكون تسليط الضوء على مختلف القضايا المعاشة، وذلك له نتائج علمية واسعة وحياتية ملموسة. وتسعى اللسانيات الاجتماعية إلى تناول موضوعات متنوعة لغوية اجتماعية، من أبرزها: اللغات الرسمية واللهجات، وأحادية اللغة في مجتمع، وتعدد اللغات وتداخلها وازدواجية اللغات والتحويل والمزج اللغوي، وتأثير اختلاف الطبقات الاجتماعية والمهن والسن والجنس على اللغات، وسهات في لغة المرأة عن الرجل، والحظر اللغوي، وصراع اللغات والتطور الدلالي، وغيرها من الموضوعات التي يهتم بها علم اللغة الاجتماعي، نجد توضيحاً لبعضها عند محمد دمياطي^(٤)، على النحو الآتي:

أولاً: يهتم برصد أبعاد العلاقة وأشكالها المختلفة التي تظهر في تعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد أو تعدد اللغات واللهجات ويهتم برصد هذه المستويات أو اللهجات أو اللغات، وتحديد المجتمعات التي تستخدمها سواء أكانت هذه الجماعات عرقية أم دينية أم مهنية أم طبقية، كذلك يهتم في هذا الإطار بالتخطيط اللغوي - Language plan ning

(٣) هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: د. محمود عياد، (بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٠م)، ١٢.

(٤) دمياطي، محمد عفيف الدين: مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، (إندونيسيا، مكتبة لسان عربي، ط٢، ٢٠١٧م)، ١٠.

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٣٤/٥.

(٢) الطبراني في الكبير، ١٩/١٧٢ ح ٣٨٧، والبيهقي في السنن: ٢٤٢/٤.

ت. ومنه الثنائية اللغوية (Bilingualism): التي تظهر في المجتمع الذي يستعمل أعضاؤه لغتين مختلفتين، يختارون استعمال إحداهما في مواقف معينة ويستعملون الثانية في مواقف أخرى، وقد يزاوجون بين اللغتين في موقف تواصل واحد في آن معا^(٥). ويراهما زكريا ميشال^(٦): في الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى. فهي تتحقق إذن في الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب حسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين.

ث. الازدواج اللغوي (Diglossia) ويتحقق عند استعمال المتكلم اللغة الفصحى مع اللهجة. وعرف فرجسون ازدواجية اللغة بأنها حالة لغوية مستقرة نسبياً تتمثل في وجود لهجات محكية إلى جانب مستوى رفيع (الفصحى) تتعلمه فئات كبيرة من المجتمع، وتستعمله في الأغراض الرسمية، بينما لا تستعمله الفئات المختلفة في أغراض الحياة اليومية^(٧).

ويرى بعض الباحثين أن الازدواجية اللغوية تتحقق عند استعمال مستويين أو أكثر من لغة واحدة، (مستوى لغوي راقى)، (مستوى لغوي وضعي). فيقولون إن أحد المستويات يكون نمطا راقيا رفيعا يستعمل في الأغراض الرسمية ويكون خاصا بطبقات اجتماعية معينة كالمثقفين والعلماء، ويستخدم (مستوى لغوي وضعي) للطبقة العامة. ولا أحبذ استعمال مفردة (وضع) في هذا السياق، ونفضل (أدنى) أو

الذي يعالج قضايا كثيرة، مثل: تقرير النظام الكتابي، واختيار اللغات الرسمية، وأساليب المحافظة عليها وتطويرها.

ثانياً: يهتم بدراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما يرصد التحول أو الانتقال الاجتماعي من طبقة لأخرى وأثر ذلك في الأشكال اللغوية التي يختارها أفراد تلك الطبقة، كما يضع هذا العلم في الاعتبار عند دراسة معاني الكلمات تحديد دلالاتها من خلال سياقها الاجتماعي ومواقف قائلها ومكانتهم في الطبقات الاجتماعية.

ثالثاً: يهتم بدراسة محظور الكلام أو الكلمات المحظورات Tabooed words والتعبيرات الاصطلاحية وظاهرة الاقتراض اللغوي لأن هذه الظواهر ترتبط بالمجتمع أو الجماعة اللغوية ارتباطاً وثيقاً كما أن استعمال اللغة يخضع لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر.

رابعاً: يتناول دراسة العوامل الاجتماعية التي تحكم الاستعمالات اللغوية المختلفة بين الأفراد، ومنها على سبيل المثال العلاقات المحددة بين المشاركين في الحديث، وأسلوب التخاطب والمكانة الاجتماعية لكل منهم والأدوار الاجتماعية التي يقومون بأدائها وهدف المحادثة وموضوعها وآداب الحديث، وما إلى ذلك.

٣-١ التعدد والتنوع اللغوي.

يمكن إجمال أكثر المصطلحات المتعلقة بالباب على النحو

الآتي:

أ. اللسان الواحد أو أحادية اللغة: تعني المستعمل مكتوباً ومنطوقاً بلغة رسمية (وطنية) واحدة فقط.

ب. التعدد اللغوي (Multi Linguisme): ويكون في الدول التي تعتمد لغتين رسميتين أو أكثر وتستعملها بالتساوي -التقريبي طبعاً-، وقد تهيمن لغة على أخرى.

(٥) الدباسة، فتحية محمد، نهاد الموسى وجهوده اللغوية، رسالة ماجستير، (الخليل، جامعة الخليل، ٢٠١١م)، ٦١.

(٦) ميشال، زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، (دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ٤٥.

(٧) استيتيه، سمير شريف، اللسانيات الوظيفية والمجال والمنهج، (إربد، عالم الكتاب الحديث، ط٢، ٢٠٠٨م)، ٦٦٦.

عام ١٩٥٣م في كتابه: اللغات في تماس، ثم توالى الكتابات في الموضوع^(١٠).

ح. الخلط اللغوي (Code-mixing) ويعني التناوب بين اللهجات وبين اللغات، ويتحقق عندما يستعمل المتكلم أكثر من لهجة في الحدث التواصلى الواحد. فهو "ظاهرة لغوية يتم فيها استعمال رمزين أو لغتين مختلفتين في عملية تواصلية واحدة"^(١١).

وترجمت زينب عاطف (code-switching) إلى التبديل اللغوي، في ترجمتها كتاب (Bilingual) لمؤلفه (Francois Grosjean) وهو: "الاستخدام المتبادل للغتين؛ بمعنى تحول المتحدث بالكامل إلى لغة أخرى من أجل استخدام كلمة أو عبارة، أو جملة، ثم عودته مرة أخرى إلى اللغة الأساسية"^(١٢). كما ترجمت (code-mixing) إلى الاقتباس ويعنى به "أحد الأساليب الأخرى التي يدخل ثنائيو اللغة لغتهم الأقل استخدامًا، هو اقتباس كلمة أو تعبير قصير من هذه اللغة وتعديلها صرفيًا (وعادة صوتيًا) لتتلاءم مع اللغة الأساسية"^(١٣).

٤-١ الواقع اللغوي اليوم ولغة الحدث التواصلى

يمكن أن نصف مستويات التواصل اليوم، ونجملها على وجه العموم لا الخصوص، على هذا النحو:
أولاً: اللغة الفصحى الجزلة، لغة القرآن الكريم الذي شرفت اللغة العربية وعلا شأنها بنزوله بها، والحديث الشريف. ونجدها اليوم في الخطب والنصوص الأدبية عموماً

(شعبي) أو غيرها من المفردات الأنسب والألطف؛ وتجنب استعمالها في وصف أي لغة أليق لعدة أسباب؛ منها:

١- أن من يستعمل (وضيع) من اللغويين، هو نفسه يريد به الدلالة اللغوية المتعلقة بالأقل والأدنى. فلم لا نذهب إلى مفردة (أدنى) مباشرة؟

٢- الدلالة السلبية المتضمنة لكلمة (وضيع)، في المعنى المعجمي والمعنى الاجتماعي: الدنيء والخسيس.

٣- أنهم يطلقونه وصفا على اللغة العامية والشخصية وغير ذلك، وهذه تشكل أكبر المساحات في حياة الأفراد. فليس من الكياسة وصفها بالوضيعة.

ج. التحول اللغوي (code-switching): مصطلح يدل على تنوع الأداء اللغوي أو التناوب فيه، ويقصد به الانتقال من لغة إلى أخرى في ذات الحدث التواصلى وتناوب أكثر من لغة رسمية فيه، أو الانتقال بين لغة ولهجة من الفصحى إلى العامية في موقف تواصلى واحد. ويمكن أن نقول إنه يضم الازدواجية والخلط اللغوي وهو أعمُّ منها. ويُعرّف بأنه "القدرة على التحول من استعمال لغة إلى أخرى في تفاعل تواصل واحد"^(١٤)، و"الاستعمال البديل لأكثر من رمز واحد (اللغة، أو اللهجة، أو التنوع الكلامي) في المحادثة نفسها أو في التفاعل التواصلى الواحد"^(١٥).

وهو ظاهرة لغوية شائعة بين المتكلمين بلغتين أو لهجتين عندما يتحول المتكلم فجأة، ويستعمل عبارة أو جملة أو أكثر بلغة أو لهجة أخرى. وأول من أشار إلى ظاهرة التحول اللغوي من اللسانيين الغربيين هو فاينريش (Weinreich)

(١٠) القاسمي، علي، "التداخل اللغوي والتحول اللغوي"، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ع١، (٢٠١٠م)، ٨٤.
(١١) Essien Okon (1995) cited in Ajibade Adetunji Christ, 10.
(١٢) جروجون فرانسوا، ثنائيو اللغة، ترجمة: زينب عاطف، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي سي آي سي، ٢٠١٧م)، ٦١.
(١٣) المرجع السابق، ٦٧.

(8) Alrasheed Samaher H. (2022) Code Switching between Arabic and English as a Communicative Strategy among Preschool Bilingual Saudi Children, International Journal of English Linguistic, vol.12, no 6, published by Center of Science and Education, 1.
(9) Ajibade Adetunji Christ (2017) Socio Linguistic Study of Code-switching among Yoruba Users of English Language in South Western Nigerian, International Journal of Advanced Academic Research/Arts, Humanities&Education, vol.3, issue 9 September, 2.

منصفة للغتنا، التي تخوض صراعا على أرضها، وتدمى
بألسنتهم.

وسأضع بين يديك تحليلاً لمقطع فيديو، وقد تصاب
بالإحباط حين تجده قد تضمن أكثر من (٣١) كلمة وعبارة
إنجليزية، في مدة لا تتجاوز الثلاث الدقائق.

جدول بالكلمات الأجنبية في مقطع ترويجي لخدمة تجهيز
وجبات طعام:

المقطع مدته ٣ دقائق فقط وفيه أكثر من (٣١) كلمة وعبارة إنجليزية.	
Hi guys	١
So	٢
Business	٣
Front camera	٤
Already	٥
Chicken Gyros	٦
Ricotta stuffed pasta shells	٧
Pasta	٨
and you got to go	٩
Dishes	١٠
Baking dish	١١
Spoon	١٢
Mixing bowl	١٣
aluminium foil	١٤
that's it	١٥
Steps	١٦
Ingredients	١٧
Shells	١٨
Ricotta sauce	١٩
Parmesan cheese	٢٠
I'm drooling	٢١
It's very sauci	٢٢
Sauce	٢٣
Let's try it	٢٤
Butter not scratch	٢٥
Zesty	٢٦
Ricotta amazing	٢٧
Everything about this was amazing	٢٨
Guys chick it out	٢٩
Honestly	٣٠
Really good	٣١

والشعرية خاصّة، وفي عدد من البرامج التلفازية وخاصّة
الإخبارية. وعند قلة من المتحدثين اليوم، نسأل الله أن
يكثرهم.

ثانياً: اللهجة، وهي التي يستعملها الفرد مع عائلته
والأصدقاء والجيران والمقربين، وقد يتحدث بلهجة واحدة،
أو يستعمل أكثر من لهجة في الحدث التواصلي نفسه، حيث
يحدث الخلط عند بعضهم وربما الأكثر.

ثالثاً: اللغة الوسطى أو البيضاء، هي سمّة التواصل
الحالي، وهي بين المستويين السابقين فلا هي معربة تحقّق
المرفوع والمنصوب والأسماء المجرورة، ولا تطغى عليها
العامة ولا المفردات الخاصّة. وهي التي نعتمدها في التواصل
الرسمي اليوم، وفي المحاضرات العلمية أو المحافل
الأكاديمية والتعليمية مثلاً، وفي عدد من البرامج الحوارية
التلفازية. وهذا هو حال أكثر متكلمي اليوم، وقد يظهر عند
بعضهم تناوب بين الفصحى واللهجة لكنه ليس الأصل.

رابعاً: الهجين، سنتوقف مع الهجين وصفاً واقعاً وأثراً
لخطورة الظاهرة، إذ يحدث اليوم أن كثيراً من متكلمي اللغة
العربية يخلطون حديثهم اليومي بمفردات وعبارات من
لغات أخرى، ولا سيما الإنجليزية، دونما حاجة أو مبرر.
ولقد شاع وراج في السنوات الأخيرة في كل البلاد العربية
وسار فيها كالنار في الهشيم؛ نرى عجباً في استعمال العربية
عند أهلها يهجرون المفردات العربية في الحديث اليومي
ويستبدلونها بمفردات أجنبية حتى غدا كلام بعضنا خليطاً
هجيناً!

لاحظ كلامنا اليومي: اعمل له برنت (فماذا لو قال
اطبع!)، رايح الميتينق (المقابلة!)، سأخذ بهذا الأوبشن
(الاختيار!) والأوردرد جاهز، الأبلكيشن (التطبيق)،
اللوكيشن (الموقع)، الأكاونت (الحساب)، فلورز (متابعين)،
وغيرها كثير من الاستعمالات التي شكلت ظاهرة وتربعت
في ممارساتنا اللغوية اليومية. وهي لا شك ممارسة لغوية غير

آثارها السلبية:

أما عن وجه خطورتها على حاضر اللغة وعلى مستقبلها، فالاستعمال له هيمنة وسلطة؛ واللغات والمفردات تقوى بالاستعمال وتموت بالإهمال، والبقاء للمستعمل. وحين نهجر كلمات لغتنا ننسب في اندثارها، وفي المقابل باستعمالنا المفردات الأجنبية نحن نسهم في تعزيزها وإحلالها محل لغتنا الأم. ولعل الأخطر هو ما يتعلق بمستقبل اللغة؛ إذ إن متكلم اليوم يعرف الكلمات العربية ويميزها عن غيرها، لكن مع تباعد الوقت وامتداد الاستعمال للأجنبي واستقراره ينسى الأصل وتموت المفردات العربية، وتحدث القطيعة بين الأجيال القادمة ولغتهم العربية لغة القرآن الكريم.

الدوافع أو المبررات:

لا شك في وجود أسباب وراء هذا الاستعمال كدخول المستلزمات والتقنيات الحديثة إلى حياتنا مع مسمياتها. وأن بعض الباحثين له مبرراته كأن يكون الشخص قد نشأ في دائرته الخاصة والعملية على استعمال اللغة الثانية فيجدها أسهل في التواصل، وباتت تزاحم لغته الأم وأخذت مكانها في لسانه. أو أن يكون متعلماً للغة الثانية فهدفه أن يحفظ المفردات الجديدة ويثبتها. ثم لا ننسى تأثير مواقع التواصل الاجتماعي وحسابات أكثر المشاهير الذين يرددون العبارات غير العربية ترديداً مستمراً ومكثفاً، فيتلقاها الجمهور وتشكل جزءاً من معجمهم اليومي عبر الاستماع الذي هو وسيلة اكتساب اللغات بما في ذلك اللغة الأم، ولذا فالوعي بخطورته وأثره مهم. وغيرها من الأسباب الكثيرة التي ليس آخرها الهاشاشة واهتزاز الهوية عند بعضهم وتقليد الآخرين، أو محاولة الظهور بمظهر المثقف الذي يتقن اللغات! والكثير يجهل أنه يعمل معول الهدم في لغته دون وعي منه.

وقد لا نحتاج التأكيد على أن هناك فرقاً كبيراً وعميقاً بين تعلم اللغات الأخرى وبين ما نحن بصدد هنا؛ فالتعلم محمود ومرغوب وله فوائد مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات والدول. أما ما نتحدث عنه فهو الاستعمال الهجين للغة العربية في الحياة اليومية والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. وعلى المتكلم العربي أن يعي دوره ويتحكم في استعماله للفظ الأجنبي بقدر حاجته وعند مقامات الأسباب الحقيقية.

وعلينا أن نتذكر بأن اللغة حقاً علينا ومن واجب الأسرة حمايتها والمؤسسات التعليمية، وتوعية النشء بالتحدث بها وتعلمها وتعليمها، وللإعلام بأنواعه مرئي ومسموع ومكتوب مسؤولية كبيرة وله دور أساسي.

خامساً: العربية المكسرة. هي ظاهرة لغوية سلبية أخرى تتمثل في اللغة المستعملة مع العمال غير العرب وما يعرف بالعمالة غير العربية، يحدث فيها تكسير للمفردات والقواعد والتذكير والتأنيث والعدد وخلط كلمات العربية مع الإنجليزية وحذف الروابط بين الكلمات والجمل، وغيرها من الممارسات التي تشكل مستوى لغويًا ركيكًا مشوهاً للغة الأم. ومن أمثلة هذه الظاهرة: إتنا في روح سوق، إيش مشكل أي ما المشكلة؟ أنا في معلوم: أنا أعلم بالأمر أو فهمت، مدام قول أي قالت المدام، ما في شوف، أي هل رأيت؟ مال أنا ومعناه هذا لي. أو يخصني، الخلط بين المذكر والمؤنث: ماما ينام، ما في سوّي كذا. خلط العربي مع الإنجليزي: أوبن باب. خلط المفرد بالجمع: بيبي كلو نايم، ما في يحيى هنا، إلخ.

وفي مقال للدكتور علي آل شريدة، في صحيفة الرياض (٢٠١١). بعنوان اللغة الهجين، لغة العمالة الوافدة بين الضرر والضرورة، يقول: لا يمكننا اعتبار هذه اللغة لغة أصلية لأحد وإنما تكتسب كلغة ثانية، تعلمها الجميع كلغة وظيفية

سادسًا: تعدد الوسائط (Multimodality)، إذا سلّمنا بأن التغيير حال الحياة ومن ثم حال المتكلمين، وأن الكلام ابن للبيئة ومستجداً لها. فإن أبرز التغيرات في مشهد اليوم التواصلي قد يكون في شيوع الوسائط المختلفة وسيطرتها فأينما يمينا وجوهنا اليوم نجد الصور والمقاطع والأيقونات والشعارات والعلامات التجارية والهاشتاقات. وهذا يعني وجود معطيات جديدة وعالم مغاير لما كان، وانتقال إلى تعدد الوسائط الذي يشكل الواقع التواصلي اليوم. ويمكن القول إننا تحولنا من الاعتماد الكلي على الكلمات منطوقة ومكتوبة إلى تعدد الوسائط Multimodality، وباتت الكلمة جزءاً من المشهد التواصلي، وليس كله.

والخطاب عند فان لويين van Leeuwen " ليس هو النص المكتوب أو المطبوع فقط، وإنما يشمل كل العلامات والرموز والأيقونات المنطوقة والمرئية والمكتوبة بما توفره من ألوان وإطارات وحروف وحركات وتصميم وغيرها، وتنتقل هذه الموارد السيميائية عبر الوسائط المتعددة. بها فيها الكتب والأفلام والصور والرسوم والآثار ووسائل الإعلام ومواقع الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ويخفي أي وسيط من هذه الوسائط أيديولوجيات وعلاقات سلطة، يجب أن يعمل التحليل النقدي على فحصها"^(١٤).

وعرفت القبيلي^(١٥) الخطاب بأنه "وسيلة مستعملة في مقام تواصلي بهدف التأثير على الآخر، والوسيلة تشمل العبارة المكتوبة والمنطوقة والإيحاءات والصوت والصورة والفيديو، بوصفها وسائل تواصلية موجهة وموجهة للآخر، كاشفة عن

بالدرجة الأولى. ويصفها بأنها لغة مبسطة بين جماعتين أو أكثر من لغات مختلفة من أجل التواصل لأغراض تجارية بشكل رئيس، لأهداف تواصلية تصطبغ غالباً بالصبغة التجارية. الجماعة الأولى مسيطرة ولغتها العربية، والجماعات الأخرى أقليات ذات نفوذ أقل من الجماعة الأولى (الهندية، والأردنية والبنغالية وغيرها). ويقول عن السبب في نشوء هذه الظاهرة، التواصل وقضاء المصالح بين متحدثي اللغة العربية وهذه الأقليات التي تتحدث عشرات اللغات المختلفة. ويبرر وجودها بقوله فبعض هذه الأقليات لا تعرف شيئاً عن اللغة العربية، ولم تخضع لتعليم رسمي أو غير رسمي عن اللغة العربية؛ ومع ضرورة تواصلها مع المجتمع الجديد الذي قدمت إليه، كان لابد من تطوير لغة سهلة ومبسطة للتواصل مع لغة هذه الثقافة الجديدة، ومن هنا نشأت هذه اللغة التي نسميها ونستخدمها حينما نتواصل مع هذه الأقليات.

واسمحوا لي أن أقدم هنا مقترحاً ربما يساعد في حماية اللغة العربية من التكريس وفي التخفيف من هذه الممارسة. المقترح يقوم على تحديد مجموعة من المفردات والجمل الشائعة المتكررة المترددة في البيئة العربية والمجتمعات التي تحتاج العمالة وتستقدمها. ويطلب من العامل التعرف عليها وتعلم هذه الجمل قبل قدمه، فيكون شرط (تعلم الجمل العربية الأساسية) ضمن شروط الاستقدام. ولكي يتحقق المقترح ينبغي العناية بالآتي: ١- صياغة الجمل الأساسية باللغة البيضاء العامة. ٢- عدم تضمينها مفردات خاصة ومعقدة. ٣- ضرورة تحديد عدد الجمل والاقتصار على الجمل الأكثر شيوعاً. ٤- مراعاة الظروف الاقتصادية الصعبة التي غالباً بسببها اختار العامل القدام. ويمكن تطوير المقترح ليحقق فوائد منها الحفاظ على لغة أفراد الأسرة، وتجنب تكسير اللغة، ويسهم في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها، فضلاً عن أنه سيوفر فرصاً جديدة للمتخصصين في تعليم اللغة العربية.

(١٤) شومان، محمد، التحليل النقدي للخطاب من اللغويات إلى الوسائط المتعددة، (القاهرة، دار المعارف، ط١، ٢٠٢٣م)، ١٥٧.

(١٥) القبيلي، ذكرى يحيى، "الخطاب الجدلي لجائحة كورونا في ضوء التحليل النقدي لخطاب تعدد الوسائط"، (مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية - جامعة الأميرة نورة، مجلد ٧، ع ٢، ٢٠٢٢م):

أولاً: دراسة كيفية صنع المعاني، والتي يتم صنعها في سياقات محددة، بوسائل مختلفة للتعبير أو أنماط سيميائية، سواء تم التعبير عنها بواسطة الجسد (الكلام، الحركات، تعابير الوجه، الإيماءات وما إلى ذلك) أو بواسطة الأدوات كمواد الكتابة والرسم وصنع الموسيقى وما إلى ذلك).

ثانياً: دراسة الطرق التي يمكن من خلالها دمج الأنماط السيميائية المتعددة في نصوص متعددة الوسائط متماسكة. لذلك فإن دراسة تعددية الوسائط لا تقتصر على الوسائط المتعددة. بمعنى الوسائط الرقمية المعاصرة، ولكنها تنطبق أيضاً على الاتصال وجها لوجه وأنواع النصوص غير الرقمية الأخرى^(١٩).

ونختم هذا القسم بالتأكيد على أن خطاب اليوم هو خطاب متعدد الوسائط، مما يجتم علينا الالتفات إلى هذه الوسائط على اختلافها، وما تنتجه من معان، وتحديث أدواتنا البحثية لتواكب المستجدات. ولم يعد مقبولاً علمياً تجاهل وسائط الصور والرسوم والفيديو والهاشقات والترند، وغيرها من الوسائط التي تنتج المعنى وتحمل الرسائل وتشكل واقعا توصلها يستلزم الالتفات والعناية.

القسم الثاني: مبادئ في العادات الكلامية وظواهرها

١-٢ مبادئ عامة في العادات الكلامية.

المبادئ اللغوية هي حقائق وآليات ذهنية وعملية تتمظهر في سلوكيات وعادات كلامية في الأحداث التواصلية. وأما العادة الكلامية فهي طريقة في تأدية اللغة يمارسها المتكلمون تصاحب التوليد اللغوي والفهم والتأويل وإنتاج المعنى، وتبدو كأنها تطبيق لحزمة من المبادئ والقوانين، وعادات الأفراد الكلامية هي تأدية للمنظومة اللغوية، ثم إنها تشكل الظواهر اللغوية الجمعية، فهي ذو علاقة جدلية.

الخلفيات المجتمعية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والفلسفية". ويقوم تحليل الخطاب متعدد الوسائط (MDA) على تكامل اللغة مع الموارد غير اللغوية الأخرى لإنتاج وتفسير المعنى الذي تم إنشاؤه في النصوص أي يوسع اللغة ويستخدمها مع موارد أخرى^(٢٠).

هذه الموارد تشمل كل ما يعبر به الإنسان من كلام لغوي منطوق ومكتوب، ومن صوت وصورة ورسوم وأشكال، وكل ما يحمل معنى في عرف ثقافي اجتماعي؛ فالفن المعروض والتصميم المرئي والصوتي واللعبة والوسائط الرقمية والتغريدات والأيقونات الاجتماعية تعدّ امتدادات للغة أو ما تتحول إليها اللغة في إنتاج الفكر وتداوله^(٢١).

ويركز تحليل الخطاب متعدد الوسائط (MDA) على كيفية اعتماد النصوص على وسائل الاتصال مثل: الصور والأفلام، والفيديو والصوت مجتمعة مع الكلمات لتصنع المعنى. وقد دُرست أنواعاً مطبوعة بالإضافة إلى أنواع أخرى مثل: صفحات الويب والأفلام والبرامج التلفازية. وهي تأخذ بعين الاعتبار كيفية تصميم النصوص المتعددة الوسائط، وكيف تُسهّم أدوات السيميائية مثل: اللون، والتأطير، والتركي، وتحديد العناصر في صناعة المعنى في هذه النصوص^(٢٢).

ويبلور فان لوين Van Leeuwen مفهوم تعددية الوسائط في كونها:

(16) Omar, Amira. 2021, 23 Omar Ghonim, Amira. (2021). A Multimodal Critical Discourse Analysis of the 2018 Utah Senate Mid-term Election Debate, 23.

(17) Matthiessen, Christian M.I. M. (2007). The Multimodal Page: A Systemic Functional Exploration. Royce, Terry D.; Bowcher, Wendy (Eds). New Directions in the Analysis of Multimodal Discourse. New Jersey, London, Lawrence Erlbaum Associates Publishers, 2.

(١٨) بالترديد، براين، تحليل الخطاب، ترجمة: عبد الرحمن النهدي،

(الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط١، ٢٠١٨م)، ٢١٥.

(١٩) شومان، التحليل النقدي للخطاب، ١٦٥.

- الكمية (Quantity) ويتعلق بالقدر الضروري من المعلومات، ويوصي بأن يكون الاسهام في الحوار بالقدر المطلوب، لا أقل ولا أكثر منه.
- الكيف (Quality) ويتعلق بالصحة والتحري وقول ما نملك دليلاً عليه، ويوصي بألا تقول إلا ما تعتقد أنه صادق، وألا تقول ما ليس لديك الحجة على صدقه.
- العلاقة أو المناسبة (Relation) ويعبر عنه بالالتزام بهدف الحوار وما له صلة بموضوع المتحدث فيه.
- الطريقة أو الأسلوب (Manner)، ويكمل في: (كن واضحاً). وينص على الإيجاز والترتيب، والابتعاد عن غموض العبارة (obscurity)، وعن اللبس (ambiguity)^(٢٠).

ما سقته أعلاه مجموعة مبادئ من حزمات كثيرة يمارسها المتكلم في الوعي واللاوعي. وإذا كانت الظواهر ممارسات لمعارف مكتسبة ومتراكمة للفرد، تعكس فهمه وحكمه في مختلف المجالات من دينية واجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها، فإن ظواهر الممارسات اللغوية سلوكيات لعادات ومبادئ الفرد الذي عادة ما يمارس هيمنة من نوع ما، في سعيه إلى إنجاح التواصل وتحقيق الغرض أو نقل رسالة معينة.

٢-٢ من مظاهر الحفاظ على نجاح التواصل.

٢-٢-١ البناء على الافتراضات السابقة:

عمليات التواصل في أكثر أحوالها تقوم على قواسم مشتركة بين أطراف التواصل، الذين يوظفونها للحصول على تواصل ناجح ومثمر. والقواسم المشتركة تعرف في التداولية بالافتراض المسبق، وهو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه

وقد حاولنا أن نجمل حزمة من المبادئ العامة والأساسية التي يتتبعها المتكلمون، فجاءت كما يأتي:

- عادة ما ينطلق المتكلم من المخزون الشخصي وخبراته وتجاربه والخلفيات الاجتماعية.
- عادة ما تظهر في اختيارات المتكلم الإيدلوجيا الشخصية والجمعية.
- المتكلمون عادة ما يتكثون على افتراضات ومعارف وتجارب سابقة وقواسم المشتركة.
- عادة ما يعتمد الاستلزامات التخاطبية والتلميحات والأساليب غير المباشرة.
- عادة ما يعتمد آليات التصنيف والتجسيد والمزج ويرسم خطاطات ذهنية لأنشطته مادية أو معنوية.
- عادة ما يراعي المسافة الاجتماعية مع أطراف التواصل.
- عادة ما يحرص على سيرورة التواصل وانتظامه وعدم تعثره.
- عادة ما يتجنب الكلام المحظور المتعلق بالعورات والجنس والعيوب.
- للفرد عادات كلامية خاصة ولوازم.
- عادة ما يتعاون أطراف الحدث التواصلية ويسعون إلى نجاح التواصل ويحرصون عليه. ونجاح التواصل لا يقوم على طرف دون آخر بل مسؤولية الأطراف جميعها.

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى ما يعرف بمبدأ التعاون Cooperative Principle. الذي افترضه غرايس (Grice) من كلٍّ مشاركٍ احترامه، وفكرته تتلخص في: (اجعل إسهامك الحوارية بالقدر المطلوب في الموقف الحوارية، وفي إطار غاياتها وأهدافها المشتركة). وجعله في أربعة مبادئ هي:

(20) Grice Paul (1989) Studies in the Way of Words, Language Teaching and Research Press, 26.

٢-٢-٢ البناء على القواسم المشتركة.

يبدو أنه نتيجة لاعتماد المتكلم على القواسم والخلفيات المشتركة، تتمظهر عمليات متعددة في الممارسة الكلامية، منها على سبيل المثال:

أ-الكلام المبتور: وهو جمل غير مكتملة لفظاً أو إسناداً لكنها مكتملة المعنى والإفادة، فعادة ما تكثر الجمل الناقصة والإجابات بكلمات مفردة أو حتى بالإيحاء ولغة الجسد. دون إخلال بالمعنى أو تشتت عن الغرض. وربما أجريت مكاملة فيها فقط: سأكون هناك بعد قليل أو بعد ساعة. دون إعادة لكل ما سبق هذه الجملة من اتفاق وترتيبات، بل ودون أن تحتاج -أحياناً- إلى النصّ على الزمن والتوقيت المعتاد؛ يكلم الصديق صديقه في الجوال قائلاً: مسافة الطريق. ويقفل الخط وتنتهي المكاملة. فهاتان الكلمتان (مسافة الطريق)، اللتان لا تفهمن شيئاً ولا تقولان قولاً، لمن هو خارج الحدث التواصلية وسياقه، هما مقياس زمني ومكاني، تحددان المسافة والوقت المستغرق للوصول. الكلمتان نفسها توجزان حكاية من الموضوعات والاتفاق على اللقاء في زمان محدد بين طرفين محددتين -وربما أكثر- سيلتقيان في مكان محدد، وبينها معرفة مشتركة بمكانها الحالي وموقع الهدف الذي يتجهان إليه وكم تبلغ المسافة بين النقطتين. إن كلمتي (مسافة الطريق) تشكلان حلقة في سلسلة من التفاهات اللفظية والتداولية وحتى الإدراكية.

ومنه حذف أحد أركان الجملة أو مكملاتها. وكما هو كثير في الأسلوب العادي والعامي من الحوارات اليومية؛ اعتماداً على الموقف ذاته، أو مواقف سابقة في الحياة العملية، هو كذلك حاصل في المستوى الرسمي، والاستعمالات الفصيحة في المنطوق والمكتوب. يقول عبد القاهر الجرجاني^(٢٥): (إنك

بالكلام كما يقول جورج يول George Yule وهو موجود عند المتكلمين وليس في الجمل^(٢٦)). فالافتراض المسبق يجري تعريفه على أساس العلاقات بين التلفظ ومواقف التلفظ، فلفظ معين لجملة ما، يفترض سابقاً من الوجهة التداولية أن سياقه مناسب، أي أن السياق يسمح بأن يفسر التلفظ. فمثلاً جملة: افتح النافذة، تفترض سابقاً وجود حجرة لها باب، وأن الباب مفتوح^(٢٧).

إن لأي خطاب رصيماً من الافتراضات السابقة يضم معلومات مستمدة من المعرفة العامة وسياق الحال والجزء المكتمل من الخطاب ذاته، كما يرى فينيان، وأن لدى كل طرف من أطراف الخطاب رصيماً من الافتراضات السابقة يظل في تزايد مع تقدم عملية الخطاب. فضمن رصيماً الافتراضات السابقة المصاحبة لأي خطاب، نجد مجموعة من المسلّمات الخطابية، وكل خطاب إلى حد ما إنما يدور حول مسلّماته الخطابية^(٢٨). ومن النافلة، القول بأن المتكلم لا يحتاج إلى ذكر كل شيء بل تقلُّ الكلمات ونجده يجذب ويركز على الإضافة. ويمكن صياغتها كمعادلة: (كلما كثرت القواسم المشتركة بين المتكلمين، قلت الكلمات)؛ فهم يبنون على الحاصل والوضع المشترك، ولا يحتاجون في معظم الأحيان إلى إعادة تقرير كل ذلك وتفصيله إلا في حالات بقدرها. ويؤكد جورج يول بأنه كلما كان بين أطراف الخطاب معلومات مشتركة حول أمر ما أو موضوع ما، قلت الكلمات والألفاظ المستعملة في الحديث عنه^(٢٩).

(٢١) يول، جورج، *التداولية*، ترجمة: قصي العتاي، (الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م)، ٢٦.

(٢٢) جوناتان، كلر، *مطاردة العلامات، علم العلامات والآداب والتفكيك*، ترجمة: خيري دومة، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٨م)، ١٥٨.

(٢٣) يول، *التداولية*، ٩٦.

(٢٤) المرجع السابق، ٢٦.

(٢٥) الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: أحمد شاکر، (القاهرة، دار الخانجي، ط٣، ١٩٩٢م)، ١٠٦.

٢-٢-٣ الاستلزامات الحوارية والأساليب غير المباشرة.

(conversational implicature)

عن الأسلوب غير المباشر يذكر غرايس (Grice) أنه من الممكن التعبير عن شيء دون التصريح به، وهو ما يعرف بالأقوال المضمرة؛ إذ يمكن أن يدل الملفوظ: الجو حار، ببساطة على أن الجو حار فعلاً في مقام تواصل، وقد يفيد مثل هذا الملفوظ من بين ما يفيد حسب الحالات: افتح النافذة، أو أغلق جهاز التدفئة^(٢٦). بل قد يعتمد المتكلم ألا يكون مباشراً في حالات أو مواقف معينة. من ذلك مثلاً كما يقول أحد الباحثين؛ قد يلجأ إليه المتكلم ليتخفى وراء المعنى الحقيقي الذي يريده هرباً من ردة فعل المتلقي إذا كان قد انزعج إلى معنى آخر^(٢٧).

وترى أوركويوني أن المعلومات وإن لم يفصح عنها فإنها بطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً بغض النظر عن خصوصيته في إطار الحديث الذي يتجلى فيه. وميّزت بين القول المضمّر والافتراض المسبق، بأن الافتراض المسبق يتعلق مباشرة بالبُنى التركيبية العامة على عكس القول المضمّر الذي يتم استنتاجه انطلاقاً من المتكلم والملكّة البلاغية التداولية الموسوعة والمنطقية^(٢٨).

إن الفهم الشامل للملفوظ يضم فهم مقتضياته، ومضمّراته وسائر استلزاماته^(٢٩). ومُحلّل الخطاب شأنه شأن المخاطب لا يملك طريقة مباشرة للوصول إلى المعنى المقصود

ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين، وهذه الجملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر).

ب- المسلمة والإضافة: المتكلم في كثير من المواقف يذهب إلى الإضافة والجديد بدلا من المسلمات والمعروف ويتجاوزها أو يمرُّ عليها سريعا ويجعل تركيزه على الإضافة. لاحظ نفسك حين تتكلم مع صديق هل تعطي كل المعلومات المسلمة والمشاركة أم تتجاوزها في معظم الحالات التي لا تحتاج التركيز عليها، وتقول الفكرة والإضافة والجديد والخبر والمعلومة والطلب والاعتذار والالتماس إلخ.

هذه أحوال عامّة، وهناك بالمقابل ممارسات لغوية فيها الإعادة والإسهاب وذكر التفاصيل والتركيز عليها؛ وهذه تعتمد على طبيعة المتحدث من ناحية وعلى المواقف وظروفها وأغراض التواصل؛ فقد يجد المتكلم نفسه بحاجة إلى القبض على الفكرة وتكثيف المفردات وتكرارها وإعادة المسلمات والمنطقات والحديث والأفكار المشتركة ويستعمل المؤكّدات (intense) وغير ذلك كثير.

ولعل من النافلة، القول إنه كما يتكئ المتكلم على الخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة، فإن هذه القواسم نفسها يعتمد عليها الطرف المستقبل في التأويل والتفسير والفهم؛ إذ المتلقي وإن كان خالي الذهن في موقف، فإنه في كل أحواله يأتي مكنّزا ومتشعبا بتجاربه وخبراته الحياتية والعلمية والثقافية والاجتماعية. وقد يأخذ قول المتكلم (المباشر وغير المباشر) فيأوله بطريقة مخالفة للسطح؛ بناء على طبيعة الجمل وأسلوب المتحدث وطريقته، والخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة والقرائن النصّية والمقامية.

(٢٦) باتريك شارودو، ودومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحماي صمود، (تونس، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م)، ٢٩٦.

(٢٧) بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، (الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣م)، ١١٨.

(٢٨) المرجع السابق، ١١٤.

(٢٩) باتريك شارودو، ودومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، ٢٤٨.

انتبه، شوف، بُص، وترديد اسم المخاطب أثناء الكلام، إضافة إلى أننا نعتمد لغة الجسد والتواصل البصري؛ بالنظرة المباشرة أو بإطالتها أو تركيزها، ومنهم من ينه المخاطب باللمس بين حين وآخر. والأخيرة مقبولة في مسافات القرب ودائرة المقربين، بخلاف المسافات الرسمية وقد تكون مرفوضة عموماً في مجتمعات.

وهناك كلمات تتردد في مجال أكثر من غيره فمثلاً في قاعات الدرس يكرر الأستاذ التوجيه أو الاستفهام، نحو: ركّز وهدوء واقفل الجوال، ويسأل من حين إلى آخر: مفهوم، واضح، فهمتم إلخ.

وهذه قد تكون لوازم كلامية في لغة الأفراد فضلاً عن نغمة الصوت، هناك اللوازم الكلامية منها: أحسّ، شوف. اسمع، انتبه، خليك معي، واخذ بالك، أو الاستفهام ما رأيك؟ هل تعتقد؟ واضح؟ ويمكن أن نمثل كذلك بعادات المثقف مثلاً فكثيراً ما يبدأ جملة بعبارة: (الحقيقة أن كذا) أو يقول أثناء حديثه: (ضع خطاً تحت كذا) أو يشير بيديه قائلاً بعد كلمة ما أو عبارة معينة: (بين قوسين) أو يعيد جملة محددة وهو يهزّ رأسه مكرراً كلمة نعم أو أيوه، أو متمماً بهمهمة صوتية.

٢-٣-٢ النداء وسيرورة الكلام

النداء أسلوب ينبّه فيه المخاطب، فهو أحد وسائل الحفاظ على سيرورة التواصل، وبالنسبة للمنادى فعادة يتم النداء في البلاد العربية بالاسم الأول للشخص، لا اسم العائلة، فيكون النداء بالكنية، فيقال أبو فلان وأم فلان، وهو رائج في كثير من البلاد العربية. ويمكن أن نستشهد بما جاء في لقاء قناة ثمانية بودكاست سقراط مع عبد الله بن يحيى المعلمي من السعودية وهو خبير في الشؤون الدبلوماسية؛ إذ يحكي أنه عندما تعين في أمانة جدة، كان يحدث أن يأتي الموظف فيخبره

من طرف المتكلم عند تلفظه بالقول، فهو بالغالب يحتاج إلى عملية الاستنتاج التي تمكنه من فهم المقولات^(٣٠).

لاحظ معي دلالات الجملة: (الساعة الآن العاشرة تماماً)، التي قد تسمعها في مقامات عدّة، لكنها لا تعطي النتيجة نفسها، بل ينتج معناها بعد تفسير المتلقي حسب ظروف المقام؛ فهي تنشئ مجموعة معانٍ مختلفة، منها:

- الإخبار وهو المعنى الحرفي. فالتكلم يخبر عن التوقيت أو يجيب عن سؤال: كم الساعة الآن؟
- طلب الإسراع وأن الوقت قد تأخر.
- رجاء التمهّل والتأني وأن في الوقت فسحة.
- التذكير، كما قد يحدث عندما تقال للطلاب في القاعة الدراسية وهم يؤدون الاختبارات. ولعلنا نتفق أن هذا القول في مقام الاختبار ذو حدين؛ الأول إيجابي مساعد ومفيد للطالب في تقسيم وقت الإجابة؛ فقد يسهّو بعضهم عن الوقت ويفوته أشياء مهمة كالانتهاء من الإجابة أو تدقيقها ومراجعتها. الثاني سلبي يسبب التوتر والتشتت لدى الطلاب، لاسيما إذا تكرر التنبيه أو زاد عن حده. وقسّ على هذا.

٢-٣-٣ عادات المتكلم في الحفاظ على سيرورة التواصل

٢-٣-١

واحدة من الأمور التي يمارسها الفرد - في الوعي واللاوعي - أثناء المحادثات اليومية الطبيعية هي عنايته بسيرورة التواصل وانتظامه وعدم تعثره. وتختلف عاداتنا في المحافظة على انتظام الكلام؛ دعونا نسميها (عادات كلامية فردية خاصّة): فهناك من لديه كلمات معينة نحو: اسمع،

(٣٠) براون، ويول، جورج. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م)، ٣٢.

مشاهدات الحلقة إلى أكثر من (١٣٣) مليون مشاهدة، (حتى ١-١-٢٠٢٥)، فضلاً عن المقطعات والمقاطع الجزئية والقصيرة في اليوتيوب والمنصات الأخرى. وسأعرض هنا للتمثيل فقط، وصفاً عاماً وملامسة تحليلية عاجلة، والحلقة تستحق أن تفرد بتحليل لساني للمقدم والضيف ضمن مقاربات تحليل المحادثة، وغيرها من المقاربات. وربما أفعل في المستقبل!

لغة الضيف: هي ما تعرف بالبيضاء لا إعراب فيها، مفرداته عامة معروفة ومفهومة لمتحدثي العربية بغض النظر عن لهجاتهم، وهذا لا يعني عدم ظهور لهجته في اللكنة، وفي عدد من مفردات لهجته، لكنها معروفة ليست من الغريب أو الخاص، يقول مثلاً: شوف، مو بزین، ليش، شوي، يمون عليه، يشيله، مجوسه، يزعل، يقطع على كرشتي. ويتردد لديه تسهيل الهمز؛ وهي ظاهرة في لغة قريش وفي لهجات اليوم: حد بدلا من أحد، جونا ضيوف وليس جاءنا، شريت وليس اشترت. تراكية عربية لا هجين فيها، ومفرداته كذلك إلا من بعض كلمات، مثل: بكج package، ستل still.

كان ينادي مقدم البودكاست عبد الرحمن أبو مالح بـ: عبد الرحمن، يا أخي، يا بو عمر، (هي يا أبا لكننا في اللهجات نستعملها بصورة واحدة بالواو فنقول: يا أبو وقد تحذف الهمزة نطقاً).

وفي موضوع الحلقة كيف تنجح العلاقات تستوقفك ظاهرة لتسميها ثنائيات الحزيمي، وهذا بعض مما جاء منها:

عن سير العمل، قائلاً: أبو فلان قام بكذا وأبو فلان عمل كذا...، فيسألهم من هو أبو فلان؟ فيوضح أو ينص على اسم من يعنيه. فقال: يالله عرفت أساءكم! والآن أولادكم! فنصحهم بعدم استعمال الكنية في الدوائر الرسمية، وقد كان وفيما يخص العلم المؤنث فله خصوصية في كثير من المجتمعات العربية، التي لا يفضل فيها الرجل أن يصرح بالاسم العلم للمرأة، بتتأ كانت أم زوجة أم أختاً وأماً. ويكون أكثر تشدداً مع اسم الزوجة، فإذا تكلم عنها قال: أم فلان باسم أكبر أبنائها، ومن الشائع كذلك أن يعبر عنها ويكنى بمفردات كثيرة، منها: البيت، الأهل، المدام، الزوجة، أم الأولاد، حتى صار الأمر يدخل في الطرفة فيقول: الحكومة، والسلطة، وغيرها مما يروونه أهون من التصريح باسم أم العيال.

ولا ندعي التعميم لكنها حاصلة في كثير من المجتمعات والمناطق، والعجيب أن هذه ظاهرة في المدن أكثر منها في حياة البادية والأرياف. ويبدو لي أنها حالياً أخف من ذي قبل، ولعلها تتلاشى ويعود للمرأة اسمها مع أم العيال.

٣-٣-٢ نموذج من العادات الكلامية الفردية.

نختم هذا العمل بنموذج من العادات الكلامية الفردية، وقد وقع اختيارنا على لقاء بودكاست فنجان (إذاعة ثمانية) مع المدرب ياسر الحزيمي بعنوان: كيف تنجح العلاقات؛ كونه من المقابلات التي لقت تفاعلاً وقبولاً واستحساناً، وحصدت ملايين المشاهدات، ففي اليوتيوب وصلت

التقية للترقية	كلما زادت مهاراتك زادت حاجة الناس إليك وزاد استغناؤك	سيف بلا غمد عنف غمد بلا سيف ضعف
فرق بين التقبل والقبول	وكلما نقصت مهاراتك زادت حاجتك للناس وزاد استغناء الناس عنك	الحسد شديد جدا عندما نظن الحياة مناهية لا مناوية
معرفة الحقوق والحدود	لما جاءت الحرية والنسبية جاءت الفردانية	العفو عند المقدرة بعضهم: المسامحة عند المقبرة
بالثناء والبناء	الاستنصاح من أجل الإصلاح	اللبس: لم يعد السؤال هل هو مفيد بل هل هو جديد
أنت محتاج ومحتاج إليه	الصحة جوهر اللياقة مظهر	تدافع وتدفع فتدافع

عن مراده، وأنه لا ينبغي تأويل المعنى بعيداً عن المتكلم نفسه وما جرى عليه في استعماله الفردي وما عرف عنه^(٣١).

خاتمة:

وقف هذا العمل على اللغة اليومية وما يكمن خلفها من مبادئ وعادات وظواهر، وأكد أن فهم الممارسة اليومية والوعي بها مهم في الحياة العملية والعلمية. ومن أبرز النتائج والنقاط:

- يحدد المتكلم شفرة تواصله بما يتوافق مع البيئة اللغوية والمقام، ويتنوع الأداء الكلامي بين اللغة الرسمية واللهجة المحلية أو بهما، وهو الحاصل اليوم في كثير من الأحيان.

وفي الختام لعله من الجدير الإشارة إلى نص لابن تيمية استعمل فيه (عادات)، وهو يتحدث عن ممارسات خاصة بالفرد يبنى عليها فهم كلامه وأن من المهم والواجب: "أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه ههنا وههنا، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا مما يستعان معرفة مراده، وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريد به ذلك اللفظ يجعل كلامه متناقضاً، ويترك كلامه على ما يناسب سائر كلامه، كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه وتبديلاً لمقاصده وكذباً عليه" فاللافت فيه استعماله مفردة (عادته) وتنبهه إلى ارتباط المعنى بعادات المتكلم التي تكشف

(٣١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة

- اللغة الوسطى أو البيضاء تعدّ سمة التواصل العام والرسمي اليوم، وهي بين الفصحى الجزلة واللهجة، فلا هي معربة تحقق المرفوع والمنصوب والأسماء المجرورة، ولا تطغى عليها العامية ولا المفردات الخاصة.
- تعدّ ظاهرة المهجين من الإشكالات والمزالق في استعمال اليوم، وقد شاعت بين متكلمي اللغة العربية الذين يخلطون حديثهم اليومي بمفردات وعبارات من لغات أخرى، ولا سيما الإنجليزية، دونما حاجة. وهي لا شك ممارسة لغوية غير منصفة للغتنا، نرجو ألا تفرض واقعاً ستلقاه الأجيال القادمة على أنه لغتها، ونخشى أن تحدث قطيعة بينهم ولغتهم العربية لغة القرآن الكريم.
- خطاب اليوم هو خطاب متعدد الوسائط، وأينما يممنا وجوهنا نجد الصور والمقاطع والأيقونات والشعارات والعلامات التجارية والهاشتاقات.
- تجمع العملية اللغوية بين ممارسات ذهنية داخلية، وممارسات كلامية خارجية، وعادات كلامية خاصة.
- من مبادئ العادات الكلامية: أن المتكلم ينطلق من المخزون الشخصي وخبراته وتجاربه، ويعتمد على الخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة، وتظهر في اختيارات المتكلم الإيدلوجيا الشخصية والجمعية، فالمتكلمون يتكثون على افتراضات ومعارف وتجارب سابقة، ويعتمد الاستلزامات التخاطبية والتلميحات والأساليب غير المباشرة، ويأشر آليات التصنيف والتجسيد والمزج ويرسم خطاطات ذهنية لأنشطته مادية أو معنوية.
- المعجم الشخصي واختيارات المتكلم كاشفة عن مكان من شخصية وفكرية وثقافية، وهو مكتنز بالإيدلوجيا سواء أكانت شخصية أم جمعية.
- من ظواهر الحفاظ على نجاح التواصل وسيرورته.
- يوظف أطراف التواصل الافتراضات السابقة والقواسم المشتركة للحصول على تواصل ناجح ومثمر.
- من عمليات اعتماد المتكلم على الافتراضات السابقة الحذف؛ اعتماداً على ما سبق ذكره في الحوار أو في الحياة الفعلية ومواقف سابقة أو في الموقف ذاته، والاختصارات التي عادة ما تكثر الجمل الناقصة والإجابات بكلمات مفردة أو حتى بالإيحاء ولغة الجسد. دون إخلال بالمعنى أو تشتت عن الغرض.
- المتكلم في كثير من المواقف يذهب إلى الإضافة والجديد ويتجاوز المسلمات.
- هناك مواقف تتطلب من المتكلم الإعادة والإسهاب والتوكيد وتكثيف الفكرة والمفردات وتكرارها وإعادة المسلمات والمنطلقات والحديث والأفكار المشتركة.
- يتكئ المتكلم على الخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة، فإن هذه القواسم نفسها يعتمد عليها الطرف المستقبل وتساعد في التأويل والتفسير والفهم.
- واحدة من الأمور التي يمارسها الفرد أثناء المحادثات اليومية الطبيعية هي عنايته بسيرورة التواصل وانتظامه وعدم تعثره.
- عادة ما يكون النداء في معظم البلاد العربية بالاسم الأول للشخص، لا اسم العائلة. إضافة إلى أن النداء بالكنية رائج في كثير من البلاد العربية.

باتريك شارودو، ودومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحماي صمود، تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م.
بالتريديج، براين، تحليل الخطاب، ترجمة: عبد الرحمن الفهد. ط١، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٨م.
براون، ويول، جورج. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.

بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣م.
ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥م.
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، القاهرة، دار الخانجي، ١٩٩٢م.
جروجون فرانسوا، ثنائيو اللغة، ترجمة: زينب عاطف، المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي سي آي سي، ٢٠١٧م.
جونانان، كلر، مطاردة العلامات، علم العلامات والآداب والتفكيك. ط١، ترجمة: خيرى دومة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٨م.
خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، عالم المعرفة، ١٩٧٨م.

الدبابسة، فتحية محمد، نهاد الموسيقى وجهوده اللغوية، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، ٢٠١١م
دمياطي، محمد عفيف الدين، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، ط٢، إندونيسيا، مكتبة لسان عربي، ٢٠١٧م.
شومان، محمد، التحليل التقدي للخطاب من اللغويات إلى الوسائط المتعددة، ط١، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٢٣م.

• عادة ما يراعي المتكلم العربي المسافة الاجتماعية، وهي تعتمد على العلاقات بين المتكلمين ببعضهم ونوعها؛ وتتوقف على درجة القرب أو البعد بين أطراف التواصل وعلى مقامات التواصل وظروفها.

التوصيات:

- نصي بالالتفات للخطابات اليومية وتأملها والعناية بصورها وظواهرها.
- العناية بالمنطوق كونه أكثر استعمالاً في التواصل اليومي. وكذلك العناية بالبرامج الحوارية، وعمليات أوار الكلام.
- الوسائط تشكل المشهد التواصل المعاصر الذي سمته تعدد الوسائط، ولا بد من تحديث أدواتنا البحثية لتواكب المستجدات والعناية بالوسائط وما تنتجه من معان.
- العمل على توعية أبناء العربية بخطورة الهجين، وأنها ممارسة لغوية غير منصفة للغتنا، ولا تستحقها العربية من أبنائها. والواقع اليوم يؤكد خطورة هذه الممارسة؛ فقد هجرت تراكيب عربية أصيلة، وبات العربي يتكلم بالمفردات الأجنبية ويحل محل لغته العربية دون حاجة.

المراجع:

المراجع العربية:

استيتيه، سمير شريف، اللسانيات الوظيفية والمجال والمنهج، ط٢، إربد: عالم الكتاب الحديث، ٢٠٠٨م.

Omar Ghonim, Amira. (2021). A Multimodal Critical Discourse Analysis of the 2018 Utah Senate Mid-term Election Debate, 23.

القاسمي، علي. التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسات اللغوية، ع١، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٠م.

القبيلي، ذكرى يحيى، الخطاب الجدلي لجائحة كورونا في ضوء التحليل النقدي لخطاب تعدد الوسائط. مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية- جامعة الأميرة نورة، مجلد ٧، عدد: ٢، ٢٠٢٢م:

<https://www.pnu.edu.sa/ar/ViceRectorates/VGS/ShariahArabic/MagazineResearch/Documents/seasone14/12.pdf>

القلفاط، المنجي، النص والخطاب في المباحث العرفانية. عمان، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٨م.

ميشال، زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: د. محمود عياد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتايي، ط١، الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.

المراجع الأجنبية:

Ajibade Adetunji Christ (2017) Socio Linguistic Study of Code-switching among Yoruba Users of English Language in South Western Nigerian, International Journal of Advanced Academic Research/Arts, Humanities&Education, vol.3, issue 9 September.

Alrasheed Samaher H. (2022) Code- Switching between Arabic and English as a Communicative Strategy among Preschool Bilingual Saudi Children, International Journal of English Linguistic, vol.12, no 6, published by Center of Science and Education.

Essien Okon (1995) cited in Ajibade Adetunji Christ.

Matthiessen, Christian M.I. M. (2007). The Multimodal Page: A Systemic Functional Exploration. Royce, Terry D.; Bowcher, Wendy (Eds). New Directions in the Analysis of Multimodal Discourse. New Jersey, London, Lawrence Erlbaum Associates Publishers, 2.

Grice Paul (1989) Studies in the Way of Words, Language Teaching and Research Press.